إفتخار بولس بشدائده
(٢ كو ١١: ٢١-٣٣)

الخوري نعمة الله الخوري

يعرض القدّيس بولس، في المقطع الذي نعالجه، لوحة مظلمة يفتخر فيها بأصوله اليهوديّة ويُعدّد الصعاب التي واجهته أثناء أسفاره وتنقّلاته بين الكنائس التي أسّسها؛ إنّها لوحة دكناء ولكنّها مُشعّة ومُضيئة تسمح للرسول بالإعتداد بماضيه. هنا نتساءل: لماذا تباهى بولس بانتمائه إلى الشعب اليهوديّ؟ ما هي الدوافع التي أرغمته على الإفتخار بشدائده؟ إنّ إلقاء الضوء على واقع كنيسة كورنتوس، أثناء تدوين الرسالة الثانية إليها، يساعدنا على تفهّم موقف الرسول الذي يدافع في هذه الرسالة عن سلطته الرسوليّة من خلال عرض الميزات التي يتحلّى بها الرسول الحقيقيّ.

أوّلاً: كنيسة كورنتوس ترفض سلطة مؤسّسها

أثناء الرحلة الرسوليّة الثالثة، أقام بولس سنتين في أفسس[١] وهناك عرِف أنّ خصومه الموجودين في كورنتوس استطاعوا أن يُبعدوا أهل هذه المدينة عن التعلّق بشخصه وتعليمه، فأرسل تيطس ليعالج هذه المسألة ولكنّ هذا الأخير فشل في مهمتّه؛ زار بولس كورنتوس زيارة سريعة[٢] ولكنّ هذه الزيارة لم تعطِ نتائج إيجابيّة. لذلك كتب رسالة قاسية بالدموع[٣] وهي مفقودة ويبدو أنّها

(١) رج أع ١٩.
(٢) رج ٢ كو ١: ٢٣؛ ٢: ١.
(٣) حول الرسالة المكتوبة بالدموع رج ٢ كو ٢: ٣؛ ٧: ٨.

أعطت نتائج إيجابيّة لأنّ تيطس أخبره أن كنيسة كورنتوس خضعت له؛ فرح بولس كثيرًا وكتب الرسالة الثانية إلى هذه المدينة ودافع فيها عن سلطته الرسوليّة متهجّمًا على خصومه الذين ألقوا البلبلة في تلك الكنيسة.

ثانيًا: خصوم بولس في كورنتوس

ينتقد بولس أحيانًا خصمًا منفردًا[٤] فيقول: «إذا سبّب أحدٌ غمًّا...»[٥]، ولكنّه، أحيانًا أخرى، يتهجّم على عدّة خصوم فيتّهمهم بالمتاجرة بكلام الله: «لسنا مثل الكثرة التي تُتاجر بكلمة الله»[٦] ويعتبر أنّهم يُبشّرون ويدعون لأنفسهم: «فلسنا ندعو إلى أنفسنا بل إلى يسوع المسيح الربّ»[٧] كما أنّهم يفتخرون بالظاهر لا بالباطن: «نجعل لكم سبيلاً للإفتخار بنا، فيُمكنكم أن تردّوا على الذين يفتخرون بالظاهر لا بالباطن»[٨]؛ يعتبر هؤلاء المُخادعون أنّه يوجد رباط ماديّ بينهم وبين كنيسة كورنتوس التي تعطيهم المساعدات[٩] لأجل كسب

(٤) إقترح البعض (P. F. Beatrice) أنّ هذا الخصم هو أبّلّوس (أفلو) استنادًا إلى النصّ الغربيّ لكتاب الأعمال الذي يقول بشأن ابّلّوس: «سمع بعض الكورنثيّين المقيمين في أفسس أبّلّوس يُبشّر فدعوه لزيارة بلادهم؛ بعد موافقته، كتب أهل أفسس إلى التلاميذ في كورنتوس طالبين منهم أن يستقبلوه بالترحاب» (أع ١٨: ٢٧). حمل أبّلّوس رسائل توصية (٣: ١) وأتى إلى كورنتوس. ربّما إنّهم أبّلّوس بولس أنّه لا يُشبه الرسل الآخرين لأنّه لم يتعرّف إلى المسيح بالجسد (٥: ١٦-١٧). كان أبّلّوس فصيحًا في الكلام مثل بولس (١١: ٦) ولا يتردّد في الإستشهاد بشريعة موسى (أع ٧؛ ٢ كو ٣).

(٥) رج ٢: ٥.

(٦) رج ٢: ١٧.

(٧) رج ٤: ٥.

(٨) رج ٥: ١٢.

(٩) يتعرّض الكورنثيّون للإلتهام لأنّ خصوم بولس يستغلّونهم ويفرضون عليهم أن يُقدّموا لهم مصاريف عيشهم وذلك بهدف تحقيق فوائد ومكاسب خاصّة؛ استعبد هؤلاء الكذبة بكبريائهم أهل كورنتوس والتهموهم وامتلكوا نفوسهم واستولوا على خيراتهم وضربوهم على وجوههم مثلما يفعل الرعاة الكذبة الذين أشار اليهم حزقيال (٣٤: ١ي) والراعي الأحمق في زكريا (١١: ١٥-١٦) ولاحقًا الأنتيكريست في الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكي (٢: ٣-٤).

لقمة العيش وهذا برهان على صدق صفتهم الرسوليّة[١٠]؛ لقد تباهى بولس بأنّه لم يقبل المساعدة من أحد مع أنّه هو الذي علّم الكورنثيّين أنّ الذين يُبشّرون بالإنجيل يعيشون من الإنجيل[١١] وهذا ما أمره به الروح القدس ولكنّه فضّل أن يكون في العَوَز ولم يقبل المساعدة لكي يمنع هؤلاء المعلّمين المخادعين من اتهامه بقبول مساعدة أهل كورنتوس. يُوجّه الرسول إلى خصومه إتّهامات قاسية تُعتبر شتائم: هم كذّابون وعملة مُخادعون يتزيّون بزيّ رسل المسيح، ولا عجب فالشيطان نفسه يتزيّا بزيّ ملاك النور[١٢] وخدّامه يتنكّرون مثله؛ إنّ مماثلة الخصوم بالشيطان هي إتّهام كبير لهم.

هؤلاء الخصوم متعطّشون للتسلّط ويتفاخرون[١٣] ويميلون نسبيًّا إلى الغنوصيّة[١٤] ولهم خبرة واسعة في الإستيحاء والرؤى[١٥].

حين تهجّم على خصومه، استعمل بولس ثلاث توضيحات:

١ – الروح الذي منحوه للكورنثيّين هو آخر؛

٢ – الإنجيل الذي بشّروا به هو آخر؛

٣ – المسيح الذي آمنوا به هو آخر، وهذه إشارة إلى أنّ الكريستولوجيّا التي يعترفون بها تنظر إلى شخص المسيح من منظار بشريّ[١٦].

يسخر بولس من أهل كورنتوس ويصفهم بعبارة «عقلاء»[١٧] ولكنّهم لا يعرفون أنّهم مخدوعون ويخضعون لرسل كاذبين يفرضون عليهم شرائع ورسومًا تحرمهم من حرّيّة المفتدين. وجّه الخصوم إلى بولس عدّة اتّهامات لكنّه احتفظ من انتقاداتهم المتعدّدة بانتقاد واحد يطال خدمته الرسوليّة فانطلق

(١٠) رج ٧: ٢؛ ١١: ٧–١١.
(١١) رج ١ كو ٩: ١٤.
(١٢) رج ١١: ١٣–١٥.
(١٣) رج ١١: ٢٠.
(١٤) رج ١١: ٦.
(١٥) رج ١٢: ١–١٠.
(١٦) رج ١١: ٤.
(١٧) رج ١١: ١٩.

من هذا الإنتقاد ليُحدّد هوّيّته الرسوليّة عارضًا الميزات التي يتحلّى بها خادم العهد الجديد.

ثالثًا: هوّيّة خصوم بولس

في رسالته الثانية إلى أهل كورنتوس، لا يكشف بولس بوضوح عن هوّيّة خصومه؛ ولكنّه يؤكّد أنّهم رسل مُزيّفون، مُرسَلون مُخادعون، يدّعون أنّهم رسل المسيح[١٨] وقد دفعهم تباهيهم المُفرط إلى اعتبار أنفسهم رسلاً مُمَيَّزين ومُتفوّقين[١٩]. تباهى هؤلاء الخصوم أمام أهل كورنتوس وافتخروا بانّهم عبرانيّون وإسرائيليّون وأنّهم من ذرّيّة إبراهيم وسلالته[٢٠]. تدفعنا هذه الإشارات إلى الإعتقاد أنّ هؤلاء الخصوم هم يهو–مسيحيّون يرتبطون بكنيسة أورشليم وهنا نتذكّر النزاع الذي عرفته الكنيسة الأولى بين كنيسة أورشليم التي أوفدت مُرسَلين ليفرضوا الشرائع الموسويّة على المرتدّين إلى المسيحيّة من الوثنيّة، من جهة، وبين كنائس الشتات التي أسّسها بولس من جهة أخرى؛ نُشير إلى أن مجمع أورشليم انعقد لمعالجة هذه المسألة وهو لم يفرض قيودًا على المسيحيّين الآتين من الوثنيّة[٢١].

ربّما كان خصوم بولس في كورنتوس من هؤلاء الإخوة[٢٢] الذين كانوا يقومون برحلات رسوليّة؛ لكنّنا نتساءل: هل هم مُرسَلون من كنيسة أورشليم أم قاموا برسالتهم بمبادرة ذاتية فألقوا البلبلة في الكنائس البولسيّة؟ لا نملك معلومات وافية حول رسالة الإثني عشر في الأرض الوثنيّة سوى ما يتعلّق ببطرس وبالتالي لا نستطيع أن نُحدّد السلطة التي يخضع لها هؤلاء الرسل المُزيَّفون الذين يتهجّمون على شخص بولس في مدينة كورنتوس.

(١٨) رج ٢: ١٧؛ ٤: ٢؛ ٥: ١٢؛ ١١: ١٣–١٤.
(١٩) يصف الرسول هؤلاء الرسل بعبارة (uperlian apostolon) التي تعني: رسلاً أعلى من كلّ المقاييس؛ رج ١١: ٥؛ ١٢: ١١.
(٢٠) رج ٣: ٦–١٦؛ ١١: ٢٢.
(٢١) رج أع ١٥: ١٩.
(٢٢) رج ١ كو ٩: ٥.

لا يتوجّه بولس في هذه الإتّهامات إلى خصومه مباشرة فهو لا يعرفهم ولا يملك دالّة عليهم لكنّه حذّر الكورنثيّين[٢٣] من هؤلاء الخصوم عارضًا الإساءة التي سبّبوها؛ إذا تخلّى الكورنثيّون عن بولس ورفضوا سلطته الرسوليّة فهذا يعني أنّهم أنكروا المسيح والإنجيل. إنّ تدخّل خصوم بولس المتهوّدين في رسالته، هو المناسبة التي دفعت بولس ليعرض آلامه المضنية التي لم يُسلّط كتاب أعمال الرسل الضوء عليها.

رابعًا: إفتخار بولس بأصوله اليهوديّة وبشدائده

يعرض بولس بافتخار، أمام الكورنثيّين، لائحة تختصر المحطّات المؤلّمة التي واجهها أثناء التبشير بإنجيل المسيح؛ يطلب في البداية من الكورنثيّين أن يتحمّلوا خطابه الأحمق (آ ٢١) ثمّ يتفاخر بأصوله اليهوديّة (آ ٢٢) ويُعدّد بعدها الشدائد ذات الطابع الماديّ (٢٣ب–٢٧) والشدائد ذات الطابع الروحيّ (آ ٢٨–٢٩) فيختم بالإشارة إلى هربه من مدينة دمشق (آ ٣٢–٣٣).

١ – الخطاب الأحمق (١١: ٢١)

كانت رغبة بولس تقضي بالإمتناع عن تعداد الحوادث التي تعرّض لها أثناء رحلاته التبشيريّة؛ هو يعرف جيّدًا أنّ تصرّفه غير اعتياديّ لأنّه يفضّل التواضع[٢٤]

(٢٣) كان بولس يُحذّر الجماعات من المخاطر التي كانت تتهدّدها: حذّر أهل فيلبي من أعداء صليب المسيح (فل ٣: ١٨) وحذّر أهل روما من الذين يُسبّبون الإنشقاقات ويخدمون بطنهم (رو ١٦: ١٨) مثلما حذّر القدماء في ميليطش من الذئاب التي لا ترحم القطيع (أع ٢٠: ٢٩)؛ ونلاحظ أيضًا أنّ مدينة أفسس، بالرغم من أنّها تركت حبّها الأوّل (رؤ ٢: ٤)، ولكنّها لم تُدعن للأشرار لا بل استطاعت أن تُميّز المعلّمين الكذبة (رؤ ٢: ٢)؛ هذا يعني أنّ المؤمنين الذين يملكون حسًّا أدبيًّا يستطيعون أن يُميّزوا الأعداء في الخارج والداخل ولكنّ الحال لم تكن كذلك مع الكورنثيّين الذين تجرّأوا على التعرّض إلى شخص الرسول ورسالته فتركه الجميع ولم يبقَ بقربه إلاّ الربّ (رج ٢ تم ٤: ١٦–١٧).

(٢٤) تواضع بولس في حياته التبشيريّة تشبّهًا بالمسيح لذلك يقول إلى الكورنثيّين: «أنا بولس أطلب إليكم بوداعة المسيح وحلمه، أنا المتواضع في حضرتكم...» (١٠: ١) لا بل نستطيع القول إنّ خدمته الرسوليّة هي شهادة حيّة وتكرار لتواضع المسيح وتنازله؛ لكنّ الرسول خالف هذه القاعدة في خطابه الأحمق فعرض بافتخار أحداث الماضي التي يتباهى بها.

لذلك كرّر امتعاضه من موقفه الأحمق[٢٥] طالبًا من جماعة كورنتوس التغاضي عن افتخاره وعدم اعتباره غبيًّا. لا يوافق هذا التفاخر روح الربّ[٢٦] فقد ناشد بولس دومًا الكورنثيّين بوداعة المسيح وحلمه بتواضع وجرأة[٢٧] غير أنّه الآن يخالف هذه القاعدة ويتردّد قبل المباشرة بحديثه عن ماضيه لأنّ ذلك أمر غير مستحبّ لا بل هو غباوة ولكنّه يفعل ذلك رغمًا عنه لأنّ خصومه أجبروه على ذلك. يسخر بولس من الكورنثيّين الذين يتوهّمون أنّهم عقلاء وحكماء وهم لا يدرون أنّهم يتحمّلون الخصوم الذين يتباهون بحسب الجسد[٢٨]؛ بما أنّهم يتحمّلون هؤلاء المُخادعين الحمقى، عليهم الآن أن يتحمّلوا بولس حين يكون مُرغمًا على الحديث بشكل أحمق.

لم يكن بولس جاهلاً بكلّ معنى الكلمة؛ صحيحٌ أنّ موهبته الخطابيّة أمام الوثنيّين لا تضاهي تلك التي يتحلّى بها حكماء عصره اليونان ولكنّه يدّعي المعرفة ويُعلّمها بوضوح وبدون تردّد[٢٩]؛ كان بولس بسيطًا على مستوى البلاغة والفصاحة ولكنّه كان عظيم الشأن على مستوى المعرفة. في هذا الإطار، يقول بولس: «اعتبروني مجنونًا»[٣٠] وهذا يعني أنّه ليس مجنونًا ولا أحمق بل يكشف عن ضعفه بخجل[٣١]: يخجل الرسول من ضعف حقيقيّ أظهره أثناء عرضه خطابه الأحمق؛ لا يسمح له ضعفه بأن يفرض نفسه بقوّة على كنيسة كورنتوس فهو يتحاشى التشبّه بخصومه الذين يُرغمون المؤمنين هناك على الخضوع لتوجيهاتهم وتعاليمهم.

باختصار، يظهر بولس في هذا الخطاب جاهلاً مجنونًا وضعيفًا غير أنّه

(٢٥) رج ١١: ١، ١٦، ٢١؛ ١٢: ١١.
(٢٦) رج ١١: ١٧.
(٢٧) رج ١٠: ١.
(٢٨) رج ١١: ١٨–١٩.
(٢٩) رج ١١: ٦.
(٣٠) رج ١١: ١٦.
(٣١) رج ١١: ٢١.

يطلب من الكورنثيّين أن يتحمّلوا حماقته[٣٢] فحين كان في حالته الإعتياديّة كتم هذه الحقائق ولكنّه الآن يتماثل طوعًا مع الإنسان الأحمق لأنّه يريد أن يُقنعهم بشأن حقيقة مهمّته الرسوليّة؛ تصرّف الرسول بحماقة لأنّ خصومه تهجّموا على شخصه فأسقطوه من عيون الكورنثيّين الذين تخلّوا عن بشارة المسيح وانصاعوا إلى بشارة أخرى[٣٣]. تباهى بضعفه وبشدائده فعرض افتخاره بطريقة تصل إلى قلوب الكورنثيّين ليُخلّصهم من تأثير المعلّمين الكذبة.

٢ - تباهي بولس بأصوله اليهوديّة (١١: ٢٢)

يبدو أنّ الكورنثيّين مقتنعون أنّ خصوم بولس هم عبرانيّون ينتمون إلى زرع إبراهيم بحسب الجسد ولكنّ بولس هو أيضًا عبرانيّ وإسرائيليّ؛ لا نستطيع أن نُحدّد بدقّة أو أن نُميّز بين هذه الصفات التي يتحلّى بها الرسول ولكنّنا نستطيع أن نُلقي الضوء على المعنى المقصود بالإستناد إلى نصوص أخرى تُعالج مسائل الأصل والمولد مع العلم أنّ ذِكر العبرانيّين والإسرائيليّين يظهر أيضًا في الرسالة إلى أهل فيلبي[٣٤].

العبرانيّون، في كتاب الأعمال[٣٥]، وُلدوا في اليهوديّة وهذه إشارة إلى أصالتهم ونقاء دمهم في حين أنّ الهيلاّنيّين وُلدوا بعيدًا عن أرض الميعاد؛ بالرغم من ولادته في الشتات في مدينة طرسوس[٣٦]، يؤكّد بولس أنّه فرّيسيّ يتبع أكثر مذاهب الديانة اليهوديّة تشدّدًا[٣٧]؛ والده فريسيّ[٣٨] وتلقّى الرسول عند قدَمَي جملائيل تربية موافقة لشريعة الآباء[٣٩].

(٣٢) رج ١١: ١.
(٣٣) رج ١١: ٤.
(٣٤) رج ٣: ٥.
(٣٥) رج ٦: ١.
(٣٦) رج أع ٢١: ٣٩.
(٣٧) رج أع ٢٦: ٥.
(٣٨) رج أع ٢٣: ٦.
(٣٩) رج أع ٢٢: ٣.

الإسرائيليّون ينتمون إلى الشعب المختار ويقول بولس بشأنهم في رسالته إلى أهل روما: «لهم التبنّي والمجد والعهود والتشريع والعبادة والمواعد والآباء ومنهم المسيح من حيث أنّه بشر»[٤٠]. لم يكن كلّ القاطنين في اليهوديّة إسرائيليّين فالإنسان يستطيع أن يرتدّ إلى الديانة الإسرائيليّة دون أن يكون يهوديّ المولد غير أن بولس هو من بني إسرائيل، من سبط بنيامين[٤١] واسمه، شاول، شبيه باسم ملِك إسرائيل[٤٢] الذي عرف تاريخًا مأساويًّا[٤٣].

نسل إبراهيم هم زرعه بحسب الجسد وقد تعوّد اليهود على التباهي بانتمائهم إلى سلالة إبراهيم[٤٤] حامل الوعود المسيحانيّة فالإنتماء إلى ذريّة إبراهيم هو ضمان الإشتراك في الخلاص المسيحانيّ؛ ولكنّ بولس هو أيضًا من سلالة إبراهيم الجسديّة[٤٥].

يفتخر خصوم بولس بهذه الإمتيازات وهذا دليل أنّهم يهو–مسييحيّون يحاولون التشديد على شريعة موسى والإمتيازات التابعة لها ولكنّ كلّ هذه الإمتيازات الجسديّة أصبحت الآن، بعد الخلاص الذي أجراه المسيح، بلا قيمة، نفاية[٤٦].

٣ – بولس يعرض بافتخار لائحة بشدائده (١١: ٢٣–٣٠)

عدّد بولس في مقاطع متعدّدة متاعب الخدمة وصعوباتها التي لا تستطيع أن تفصله عن محبّة المسيح[٤٧]؛ غير أنّ النصّ الذي نعالجه هو أغنى هذه النصوص وأقواها؛ هو مليء بالحيويّة ومشحون بالأحاسيس الجيّاشة ويمتاز

(٤٠) رج رو ٩: ٤–٥؛ ١١: ١.
(٤١) رج في ٣: ٥.
(٤٢) رج ١ صم ١٠: ١.
(٤٣) رج ١ صم ٣١: ٤–٦.
(٤٤) رج يو ٨: ٣٩.
(٤٥) رج رو ٤: ١ ي ي؛ غل ٣: ٦–٩.
(٤٦) رج في ٣: ٧.
(٤٧) رو ٨: ٣٥–٣٩؛ رج ١ كو ٤: ٩–١٣؛ ٢ كو ٤: ٨–١٢؛ ٦: ٤–١٠.

ببلاغة التعبير وعفويّة المشاعر وعمقها. يتفاخر خصوم بولس أنّهم خدم المسيح[٤٨] وقد وصفهم سابقًا أنّهم خدم الشيطان[٤٩]؛ يؤكّد الرسول الآن، بعد اضطراره للإعتذار، أنّه خادم حقيقيّ للمسيح فالمناسبات الأليمة التي مرّ بها تُثبت هذا الأمر. نشير هنا إلى أنّ الرسول يُؤكّد أنّه يُشبه خصومه على مستوى الإنتماء إلى الأصول اليهوديّة (هم عبرانيّون... وأنا أيضًا كذلك) ولكنّه، على مستوى الخدمة الرسوليّة، يتفوّق عليهم ولا مجال للمقارنة بينه وبينهم (أنا أفوقهم).

يعدّد الرسول شدائده إنطلاقًا من الأحداث التي يُمكن تحديدها بدقّة وصولاً إلى الأحداث العامة. يذكر أربع عشرة مناسبة[٥٠] ذات طابع ماديّ (٢٣ب–٢٧) ثمّ ينتقل إلى الشدائد ذات الطابع الروحيّ (٢٨–٢٩) دون أن يُهمل الإشارة إلى الهرب من مدينة دمشق (٣٢–٣٣).

أ – الشدائد ذات الطابع الماديّ (٢٣ب–٢٧)

عرض بولس هذه الشدائد في لائحتين: الأولى تتضمّن أخطارًا مُحدّدة ومعروفة (آ ٢٣ب–٢٦) في حين أنّ اللائحة الثانية تُشير بشكل عام إلى واقع الرسول المأساويّ (آ ٢٧).

قبل تدوين الرسالة الثانية إلى أهل كورنتوس سُجن بولس في فيلبي[٥١] وربّما سُجن في أفسس[٥٢].

جُلِد بولس مِثل الربّ يسوع الذي حقّق بجلده قول مز ١٢٩[٥٣]. يقول

(٤٨) رج آ ٢٣أ.
(٤٩) رج ١١: ١٣–١٤.
(٥٠) حين تطرّق بولس إلى الأخطار، عرض ثمانية أنواع منها: الأنهار، اللصوص، بنو قومه، الوثنيّون، المدينة، البرّيّة، البحر، الإخوة الكذّابين.
(٥١) رج أع ١٦: ٢٣.
(٥٢) رج ١ كو ١٥: ٣٢.
(٥٣) رج أش ٥٠: ٦.

كتاب التثنية[٥٤] أنّه لا يجوز أن تتجاوز الجلدات عدد الأربعين لذلك قرّر ضاربو بولس الذين رجموه على خمس دفعات، الوصول إلى العدد ٣٩ (٢٦ على الظهر؛ ١٣ على الكتفين) أثناء كلّ دفعة تحاشيًا لوقوع خطأ في احتساب عدد الجلدات.

تعرّض بولس للضرب بالعصيّ في فيلبي حيث فُرِض هذا العقاب من قِبَل سلطات غير يهوديّة مع العلم أنّ مواطنيّته الرومانيّة تمنع هذا النوع من العقوبات[٥٥].

رُجم بولس في لسترة[٥٦] وظنّ الراجمون أنّه مات ولحسن الحظ لم يكن مصيره مثل اسطفانوس[٥٧].

لا يذكر كتاب الأعمال متى تعرّض بولس للغرق مع العلم أنّ الغرق في مالطا هو لاحق لكتابة ٢ كو[٥٨].

تتعارض أسفار البحر والأنهار مع أسفار الطرقات؛ أثناء السلام الرومانيّ، كانت مناطق عديدة من آسيا الصغرى عرضة للأخطار وربّما أشار خطر الأنهار إلى عدم وجود جسور عليها تسهِّل العبور على المارّين.

يعرف كتاب الأعمال الأخطار التي تجد مصدرها عند بني قومه اليهود وعند الوثنيّين على حدّ سواء؛ نشير هنا إلى أنّ الوثنيّين ربّما سخِروا من بولس لأنّه اعتبر آلهتهم أصنامًا.

الإخوة الكذبة هم مسيحيّون يناهضون إنجيل بولس وربّما كانوا يهو–مسيحيّين يُشبهون الخصوم الذين تتهجّم عليهم الرسالة إلى أهل غلاطية[٥٩]؛ نلاحظ أنّ الأخطار التي يُسبّبها الإخوة الكذبة تضاهي أخطار اللصوص والبحر وغيرها.

---

(٥٤) رج تث ٢٥: ٣.
(٥٥) رج أع ١٦: ٣٧؛ ٢٢: ٢٥.
(٥٦) رج أع ١٤: ١٩.
(٥٧) رج أع ٧: ٥٩–٦٠.
(٥٨) رج أع ٢٧: ٩–٤٤.
(٥٩) رج غل ١: ٦–٧.

بعد انتهائه من سرد الآلام المُحدّدة والمعروفة، ينتقل الرسول إلى عرض مآسٍ تُلمّح بشكل عام إلى واقعه المأساويّ فتطرّق إلى الجهد والكدّ والسهر والجوع والعطش والصوم والبرد والعري؛ السهر الكثير كان تحت تأثير ظروف قاهرة غير إعتياديّة؛ الجوع والعطش ليس مردّهما إلى كون الرسول فقيرًا وحسب، بل أيضًا بسبب فقدان الطعام والماء في الأماكن غير الآهلة بالسكّان. لا يبدو أنّ الصوم كان اختياريًّا فالإطار المباشر يُشير إلى العكس: كان بولس فقيرًا ولم يستطع دائمًا أن يكسب لقمة العيش في حين أنّ خصومه استغلّوا الجماعة؛ لم يطلب المساعدة من كنيسة كورنتوس كي لا يُثقّل على المؤمنين ولكنّه وافق على أخذ المساعدات من كنائس مقدونية نظرًا للمودّة التي تربطه بتلك الكنائس. البرد والعري يُشيران على الأرجح إلى سطو اللصوص عليه.

بعد عرض هذه اللائحة الطويلة من الآلام، نكتفي بالقول إنّه لن تستطيع الشدّة أو الضيق أو الإضطهاد أو السيف أو الجوع أو العري أو الخطر او السيف أن تفصل الرسول عن محبّة المسيح[٦٠].

ب - الإفتخار بالشؤون الروحيّة (٢٨-٢٩)

بعد أن عدّد بولس المآسي ذات الطابع المادي الخارجيّ، انتقل الآن إلى سرد نوع آخر من المعاناة الروحيّة الداخليّة فقد كان شغله الشاغل الإهتمام بالكنائس وهذا يعني أنّ الصعاب الروحيّة التي واجَهَته أثناء قيامه بمهمّته الرسوليّة قرب المؤمنين توازي الصعاب المادّية التي عدّدها أعلاه. تُشير آ ٢٨ إلى الإهتمام بالكنائس بشكل عام في حين أنّ آ ٢٩ تذكر بالأحرى اهتمامه الشخصيّ بالقدّيسين.

بعد أن أسّس الكنائس، زار بولس ثانية القدّيسين[٦١] والإخوة[٦٢] بالرغم من المخاطر التي كانت تنتظره. تضامن بولس مع ضعف المؤمنين الجسديّ

(٦٠) رج رو ٨: ٣٥.
(٦٠) رج أع ١٤: ٢٢.
(٦٢) رج أع ١٥: ٣٦.

والنفسيّ وكان يُصاب بالحمى حين يسقط أحدهم في العثرة. تلفت انتباهَنا صورةُ الرسول المهتمّ بالكنائس فهذه إشارة إلى أنّ الرسول، أثناء تنقّلاته، كان يتلقّى أخبار الكنائس إمّا بواسطة رسائل وإمّا بواسطة معاونيه(٦٣).

أورد بولس المآسي التي عانى منها أثناء اهتمامه بالكنائس في نهاية آلامه لأنّه اعتبرها مُضنية وأكثر إزعاجًا؛ تحمّل ضعف النفوس السريعة العطب وسمِع تذمّر المقهورين وصحّح ضلال المؤمنين.

يختم(٦٤) بولس تعداد مآسيه بقوله: «إن كان لا بدّ من الإفتخار، فسأفتخر بحالات ضعفي» (آ ٣٠)؛ عانى بولس من عدّة شدائد ولكنّه تغلّب عليها(٦٥) لأنّ الله كان بجانبه يعزّيه.

٤ – الهرب من الملك الحارث (٣٢–٣٣)

بعد أن انتهى من سرد مآسيه، ذكر بولس نوعًا مختلفًا من المعاناة حين هرب من مدينة دمشق. لا يتوافق كتاب الأعمال مع هذه الرسالة حول سبب الهرب؛ يعتبر كتاب الأعمال(٦٦) أنّ الخطر ناجم عن اليهود أمّا الرسالة الثانية إلى أهل كورنتوس فتقول إنّ الملِك العربيّ الحارث(٦٧) هو الذي يُطارده. نستطيع التوفيق بين هذين المصدرين إذا اعتبرنا أنّ اليهود وشوا ببولس أمام السلطات؛

(٦٣) رج ١ كو ١: ١١؛ ٥: ١؛ ٧: ١؛ ١٦: ٧١–١٨ ...

(٦٤) تتضمن آ ٣١ نوعًا من القسَم بالله الذي يؤكّد صدق كلام الرسول.

(٦٥) رج ٤: ١–١١.

(٦٦) رج ٩: ٢٤.

(٦٧) من هو الحارث؟ نعرف عدّة ملوك عرب بهذا الاسم غير أنّ بولس يُلمّح إلى الملك الحارث الرابع، المسؤول عن مملكة الأنباط (شرق فلسطين) حيث دام حُكمه من العام ٩ قبل الميلاد حتّى العام ٣٩ ميلاديّة؛ سيطر أحد اسلافه على مدينة دمشق قبل أن يأتي إليها الرومان ليضعوا يدهم عليها عام ٦٣ ق. م. ربّما استعاد هذا الملك مدينة دمشق عام ٣٤ وهذا يعني أنّ هرب بولس يتحدّد بين عامي ٣٤–٣٩. وعليه إذا هرب بولس من دمشق بعد ارتداده (أع ٩) يجب الإقتراب إلى أقرب تاريخ ممكن (عام ٣٤)؛ لكنّ الرسالة إلى غلاطية (١: ١٧) تذكر زيارة ثانية إلى دمشق تلي إقامة الرسول في بلاد العرب، وفي هذه الحالة يتحدّد هرب بولس من هذه المدينة حوالى العام ٣٩.

وعليه ربّما اتّصلوا بذاك الملك العربيّ ليُخلّصهم منه. نشير إلى أنّه حتّى ولو لم يسيطر الملك الحارث على مدينة دمشق واكتفى بالبقاء في الجبال المحيطة بها، ولكنّه سيطر على أبوابها[٦٨] ليُمسك ببولس الهارب، غير أنّ بولس هرب خفية فقد أُنزِل في زنبيل من فجوة في الحائط. لا يتضمّن الهرب من دمشق خبرًا مجيدًا بل هو حدث مُذِلّ.

باختصار نقول: تتضمّن هذه اللوحة المُظلمة التي تُعدّد مآسي الرسول، لمحة سريعة وخاطفة عن آلام الرسول التي أشار اليها في أماكن أخرى؛ غير أنّ الربّ أنقذه منها جميعًا وكما كثُرت الآلام في حياته، كذلك أيضًا كثُرت التعزية[٦٩].

خامسًا: قراءة رعويّة للنصّ

إنّ المآسي التي عانى منها بولس، ستواجه تلاميذ المسيح على مرّ العصور؛ إنّ الرسول الذي يُبشّر بالإنجيل هو ضعيف وغير قادر لوحده على تجاوز الصعاب التي تعترضه، لأنّه يُشبه إناء خزف[٧٠] سريع العطب غير أنّ هذا الإناء يحمل في داخله كنزًا ثمينًا؛ هنا نجد المفارقة الإلهيّة التي تُوكل البشارة الإلهيّة (المُشار اليها بالكنز الثمين) إلى أناس ضعفاء لا نصير لهم يُشبهون آنية الخزف.

يُشارك المسيحيّ طوعًا في آلام المسيح فالآلام هي علامة تُميّز الخدمة الرسوليّة. لا يملك الرسول المؤهّلات التي تُمكّنه من أن يكون خادم العهد الجديد ولكنّ الله وحده هو الذي يمنحه القدرة وذلك بالمسيح[٧١]. هذا يعني أنّ المهمّة الرسوليّة هي نابعة من الله ولا تستند بالتالي إلى جدارة الرسول وكفاءاته الشخصيّة: لا يدعو الربّ أحدًا إلى الخدمة الرسوليّة دون أن يمنحه،

(٦٨) رج أع ٩: ٢٤.
(٦٩) رج ١: ٥.
(٧٠) رج ٤: ٧.
(٧١) رج ٢: ١٧.

في نفس الوقت، الرحمة اللازمة لها لذلك عليه أن يحمل الصليب كلّ يوم ويتبع المسيح(٧٢).

حين يمرّ الرسول في ظروف قاهرة، يجد الله بجانبه فالقدرة الإلهيّة تتجلّى وسط الصعوبات والآلام. نلاحظ إذًا أنّ ضعف المبشّرين يُسلّط الضوء على التبشير بالإنجيل، قدرة الله(٧٣).

خاتمة

يظهر بولس في هذا الخطاب الأحمق مثل أيوب؛ لا يُعدّد انتصاراته ولا يُخبرنا عن نشاطاته الرسوليّة الباهرة بل يكتفي بإيراد الآلام التي عانى منها؛ يريد الرسول أن يُبرهن أنّه خادم حقيقيّ للمسيح فهو يتفانى في سبيل الربّ من خلال خدمته التي تتحلّى بالصبر والثبات أثناء سنوات التعب والآلام. تمّم بولس في جسده ما نقص من آلام المسيح(٧٤) فالآلام التي عانى منها طبعت في جسده علامات الربّ يسوع(٧٥).

يختصر بولس معاناته بقوله: «القدرة تبلغ الكمال في الضعف. إني افتخر راضيًا بحالات ضعفي لتحلّ بي قدرة المسيح. ولذلك فإنّي راضٍ بحالات الضعف والإهانات والشدائد والإضطهادات والمضايق في سبيل المسيح، لأني عندما أكون ضعيفًا أكون قويًّا»(٧٦). يُشارك بولس في آلام المسيح طوعًا فالآلام هي علامة تُميّز خدمة الرسول الذي يتمّم في جسده ما نقص من آلام المسيح(٧٧).

(٧٢) رج لو ٩: ٢٣.
(٧٣) رج رو ١: ١٦.
(٧٤) رج كو ١: ٢٤.
(٧٥) رج غل ٦: ١٧.
(٧٦) رج ٢ ١٢: ٩–١٠.
(٧٧) رج كول ١: ٢٤.

مراجع

BARRETT C.K., « Psudapostoloi », *Mélanges Bibliques en l'honneur de B. Rigaux*, Gembloux 1970.

____, « Paul's Opponents in 2 Corinthians », *NTS* 17 (1970) 233ss.

CARREZ M., *De la souffrance à la gloire*, Neuchatel 1964, pp. 81-98.

____, « Paul et l'Église de Corinthe », Introduction à la Bible, *le Nouveau Testament*, pp. 51-93;

____, *La deuxième épître aux Corinthiens*, Cahiers évangile 51 (1985).

FEUILLET A., « Paul : les épîtres aux Corinthiens », *SDB*, t. 7, 1961, col. 170-195.

HERINGING J., *La seconde épître de Saint Paul aux Corinthiens*, Commentaire du NT, Delachaux&Niestlé, 1958).

QUESNEL M., *Les épîtres aux Corinthiens*, Cahiers évangile 22 (1977).

LYONNET S., « La Loi Fondamentale de l'Apostolat, formulée et vécue par S. Paul », *La Vie selon l'Esprit* (coll. « Unam Sanctam » 55), p. 263-282.

الفغالي بولس، **رسالة القدّيس بولس الثانية إلى أهل كورنتوس**، (سلسلة كلام الله ٢، منشورات الرسل ١٩٩٤.

____، **مع كنيسة كورنتوس**، سلسلة القراءة الربّيّة ١٤، ٢٠٠٣.